(٩)

معية الله للإنسان
كيفما شاء كانت فكان
كائن الشيطان أو كائن الرحمان
الله من ورائهما بالحرمان أو بالإحسان

حديث الجمعة

٢١ شعبان ١٣٨٤ هـ - ٢٥ ديسمبر ١٩٦٤ م

بسم الله، ظهر بالإنسان أزلا..

بسم الله، يظهر بالإنسان أبدا..

بسم الله، يظهر بالإنسان معلما في دورة الحياة أمدا، قياما لقديمه عليه قائم، وبقادمه عليه مجتمع.

بسم الله، الإنسان السرمد، إنسان الوجود الخالد، لمعنى الحاضر الدائم، الطاوي للقديم والقادم بقائم، حقيقة المعبود والحق العابد، حقية الوجود والحق الموجد.

بسم الله، ظاهرا بالإنسان، صلى على قائمه بقديمه وقادمه، من طرفيه وصله في أحديته، وبصورة قامه في واحديته.

بسم الله قبل الأزل، وبسم الله بعد الأبد، وبسم الله فوق القيام، وبسم الله بعد القيام، لاسم اللانهائي السرمد، ليس كمثله أحد.

بسم الله الخالق.. بسم الله المعلم.. بسم الله الرحمن الرحيم.

بسم الله تجلى فخلق.. بسم الله عدل فسوى.. بسم الله حرر فحقق.. بسم الله علم فتوحد.

بسم الله لا شريك له، ولا وصف له، ولا إحاطة به.

بسم الله الظاهر بالإنسان.. بسم الله الباطن بالإنسان.

بسم الله، عنونه كل عنوان، وأشار إليه كل كيان، وتواجد به كل وجود، وسعد به كل عارِف، وتحدث عنه كل عالِم، وحمل نبأه وخبره كل كتاب، وكل عِلم، وكل فعل.

بسم الله، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

بسم الله، قَدَّر فهدى، فتواجد بمن اهتدى، وتقدَّر بمن قدَّر.

بسم الله، منح الرحمة للرحيم، وبالرحيم بطن، وبالرحمن منه ظهر.

بسم الله، منح العلم للعليم، وبالعليم علّم، ومنه أوحى وألهم.

بسم الله، علم البيان، للإنسان، فكان عليه العنوان، وأوجد كل شيء من أجله، وجعله من أجله، فاستوى به على عرش الوجود، بعطائه، وسرى به في كل موجود، برحمته وبلائه.

جُعل للناس كافة من الرسول ومعناه، أمر الله. وجعل من الربوبية معه له عليه راعية، ساهرة، معدة، معينة، حافظة، أمر الله عليه. وجعله للمؤمنين، أمره ويده، وقَدَم سعيه. وجعل يده العليا، على كل يد ممتدة ببيعة، بيمينها، بعملها، بصفائها، بصدق نواياها، بسلامة طواياها، باستقامة مسعاها، بطاعة مولاها، يد الله فوق أيديهم.

{إن الذين يبايعونك، إنما يبايعون الله}[1]، مَن خلقك وخلقهم، ومن برحمته وقدرته وجوده، يسوي بينك وبينهم يوم تُوحدهم، بوحدانيتك معه، قل لهم سبحوا الأعلى، الذي خلق فسوى، وقدَّر فهدى، رسولا من أنفسكم، ظاهر الأعلى لحقائقكم.

من نكث فإنما ينكث على نفسه بالتفريط في أمره، ومن وفَّى بما عاهد عليه الله، فالله مؤجره ومعطيه أجرا عظيما، فوق ما يجول بباله، وأكرم مما يقوم بحاله، وأشرق مما يزهر له بمثاله.

للمثل الأعلى أوجده، وهيأه كافة للناس، وجعل المثل الأعلى له ظاهرا به قدوة لهم، جعله الطريق لكلماته تتم وتعم، برحمته، وبعلمه، وبكتابه، وبتمكينه وقدرته، وبحلمه وعزته، بفنائها عنها، وقيامها بمنحته. (أنا رحمة مهداة)[2]، (إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها)[3].

يرددون اسم الله، بأفواههم، وهو لا يتردد، بحقه، إلا يوم ترده القلوب بوجيب، وتسمعه الضمائر فتجيب، فتنطق باللفظ القلوب (الله الله)، كلمة تسمع للآذان لها ولغيرها من الأبدان. تحيا به القلوب فتبصر بنورها من نوره، وتسمع ما لا يسمع لغيرها في قبوره، فتعي بتأديبه وعلمه، وتقوم في تواضع برحمته.. غنية بطلعته.. سعيدة بوصلته.. موصولة توصل، وعالمة تعلم، ومرحومة ترحم، ومغفورة تغفر، وقريبة تقرِّب، وبأخلاق الأعلى، تقوم وتقيم.

ذلكم هو الإنسان، يوم يصبح الكائن البشري إنسانا، يعرف إنسان الأمس أخا ورفيقا، ويعرف إنسان الغد عليًّا وصديقا، ويعرف إنسان الحاضر قيوما وقائما، مرحوما وراحما، أقنوما من أقانيم، وحقا من حقائق، وعبدا من عباد، وربا من أرباب، وإلها من آلهة في الموجود المطلق لمعنى الله.

إنسان هذه الأرض، ما بين إنسان الروح، وإنسان الكواكب، ما بين يدي رحمة الله إنسان وسط وأمر وسط، أمر الروح يعلوه، وأمر الكواكب ينتظره ويرجوه، يوم يقوم في الأرض خليفة، عن مُخلف من الأعلى، فيقصد معلما، ويطلب وسيلة، لمن يصدق مع نفسه، ولمن يعرفه رسولا من أنفسهم، أو رفيقا لأعلى لرفاق أدنى.

إن إنسان الروح يقارب إنسان الأرض، فيستوي معه إلى الأرض قاب قوسين أو أدنى، سواك رجلا، كلمة طيبة وشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء متصاعد، ثم يستوي به إلى السماوات، فيتواجد إنسان الكواكب، فيرى به فيه قديمه بإنسان الأرض، يوم يظهر مخلفا عليها، فيقصدها قبلة له يشهد فيها إنسان القدم، فيسعده، ولنفسه لمتابعته يجدده.

فإنسان الروح، هو إنسان الحق، ظاهرا لباطن من أعلى للانهائي، يجتمع على إنسان الأرض ليظهر به يوم يدانيه، ليبعثه ذاتا بالحق مشهودا لأهلها، مرحومون به مختبرون فيه، كما يظهر لإنسان الكواكب معلوما بحقيقته، فيعرف به إنسان الروح لاسم الذات العلي المداني، ويقوم به إنسان الأرض لأهل الأرض رسولا من أنفسهم، كما يقوم به إنسان الكواكب لأهل الكواكب رسولا من أنفسهم باسم الحق الداني، لمن يطلب الحق العلي قياما بالحق الدني. بذلك كان الإنسان الذاتي في جميع مستوياته لمعنى الأنا للحق، إنسان وسط، رسول الأعلى، ورب الأدنى.

بذلك كان الأمر الوسط خير الأمور، وبذلك كانت الأرض به، يوم يدب عليها سافرا، وهو عليها في دوام غاد ورائح، أخفاه الأعلى في الخلق، وتولاه الأعلى في الأمر، فحجبه عن شانئه، ولم يمنع عنه محبيه، هو في دوام على الأرض مبديه، جاعل منه رحمته لها، وأوتاده عليها، ومصابيحه لأهلها، روح الحياة لطالبيها، ووجه الحقيقة لعاشقيها، وقرب الله لمنيبيه، وظل الله لمستظليه، وبيت الله لطائفيه، وقبلة الله لمستقبليه، وحبل الله لماسكيه، والعروة الوثقى لمن وثق فيه.

جاء دين الفطرة مع أمر الله الوسط ليعرِّف عن الله لقائميه، أظهره على الدين كله مثلا وقدوة لعارفيه، فكان هو قضية الله عند ذاكريه، وذكر الله قديما ومحدثا لمؤمنيه، مظهرا لذكر قديم لعارفيه، هم الذكر المحدث من الله لله فيه.

فتعجل الناس بكبريائهم أمرهم لهم، وكان هو في دائم أمر الله معنى الحق عندهم، فقاموا أمرهم بوهمهم فرطا في معانيه. أدركه وحققه لنفسه مواليه، وفقده وقد كان له شانيه. فهو من الله العروة الوثقى للمؤمنين بالله، هم فيه، معنى الإيمان بالله عند مقدريه، هو الحق منه لقائم الله ورسوله للوجود فيه، مظهرا منه لطالبيه، ووجها له لكاشفيه، وسرا للقلوب، عرفته العقول، يوم تجمعت عليه فيه، اجتماعا على مُرسلِه ومبديه، بيتا لقبلة الحج والصلاة بحقائقه ومعانيه، وظلاله ظلالا للحق به منه فيه.

إنسان اليوم، غيره إنسان الأمس، وغيره إنسان الغد، إنه الأمر الوسط بين إنسان الأمس وإنسان الغد دائما. إن الإنسانية بوصف الخلق لمعنى حاضرها، مرتقية متعالية لتكسب وصف الحق، وهي كاسبته، لغدها، على ما كان من أمر ما عرفت من أمسها، بقائم حق لها، مبعوثا بكمال قديمها، يوم تستقيم بحاضرها مع قائمه أمرا وسطا. ومهما بلغ قائم الحق مبعوثا بقديم، فما زال ينتظره بعث بأقدم وأكمل من اللانهائي للأزل، قائما في اللانهائي للأبد، لدائرة الحياة في دورتها في الوجود المطلق.

صلى الله عليه من الروح بإنسانه وملئه لملائكته قديما، ويصلي عليه من الإنسان وملئه من الناس قائما وقادما. ويؤمن المؤمن بنفسه فيه، مؤمنا مرآة للمؤمن، في قيام حقي دائما، يوم يبعثه حقا مقاما، ووجها مشرقا لحق، ووجه عرفه وشهده، إلى وجه يعرفه ويشهده.

فماذا أدرك الناس في إمام حضرتهم أُمة وكوثرا، وإنسان نجدتهم وخلاصهم مظهرا ومخبرا، حق قائمهم، وظاهر قيومهم، وبشرى قادمهم؟ قام جديدا متجددا بكوثر مبانيه، للانهائي معانيه، متعددا بينهم بظلال، مستمرا بينهم بحال وقال ليبين لهم، مُعلما بكتاب، فياضا بحجاب من وراء حجاب، وبحجاب من أمام حجاب، حجب هي له دثار، لجوهر من علم ومقال، ظاهرا بإهاب، معنونا ببيت وجلباب.

قام حارثا في الأرض، زارعا ضاربا فيها، عرفها مسجدا له، وسعدها طهورا به، لا يرضى وأحد من أُمته في النار، كلما تجدد لموجوده عليها أُمة له. فبماذا استقبلوه؟ وكيف هم بكل ظل ظهر به بينهم عاملوه؟ هل وعوه؟ هل قدروه؟ نعم عاملوه وقدروه كلما فقدوه، وكيف هم قدروه!، إنهم إذا ما قبروه، قبرا عبدوه، وقبرا عرفوه، وقبرا شهدوه، وكلما تجدد بكوثره ذاتا وهيكلا وبيتا لله أنكروه، وحقا دائما بينهم ما طلبوه وما قدروه وما فقهوه أو فقَّهوه.

فإن فقدوه وذكره لهم ذاكروه، ذكروه مولولين، وذكروا حالهم له مفارقين، للنبوة بوهمٍ خاتمين، وللمعلم بزعم فاقدين، وللنور بجهل مطفئين، وعلى الكوثر بكبر منكرين، وللموهوم من الأمر منتظرين، للقول

محرفين، وعن الحق لأنفسهم غافلين، وهو القائم بهم على كل نفس بما لها من دين، في الأولين والآخرين، قيامه في القائمين، عبدا لرب العالمين، وربا للموقنين.

وهو بينهم برحمته في العابدين، وبرسالته في القائمين، وبسنته في الراكعين، وبقدوته في الساجدين، فيمن هم للحق بقلوبهم موقنين، حية هم بها يحيون، وللقلوب محققين مجمعين، مجتمعة بها يجمعون، ومتحققة بها يحققون، ومن العقول بصدق وعلم متحدثين له مفيضين، وملهمين، وبمقابر ذواتهم بينهم بهيا كل الله متحركين، {إنك ميت وإنهم ميتون}[٤]، فإنكم إنما بالقلوب تحيون، وتبعثون، لا بالأجداث بها تمشون، ولها تحركون.

طُلب إليهم أن يسألوا أهل الذكر إن كانوا لا يعلمون، وأهل الذكر بينهم عبادا للرحمن على الأرض هونا يمشون ويتحركون، فالأرض لا تطيق وطأتهم يوم يستعلون، ولا يبقى عليها غيرهم يوم يسفرون، وبوجه الله لهم يظهرون، يوم أنهم بإذن من الله يفعلون، وإنهم يوما لفاعلون، يومئذ يخرج الناس من أجداثهم إليهم يهطعون، كأنهم إلى نصب يوفضون.

يومئذ يجيبون الدَّاعي لا عوج له، غابت عنهم إرادتهم، وقامت بالرحمة إرادته فلا يعون، خشعا أبصارهم ترهقهم ذلة، وهم يومئذ على الذل لوجه الله لا يستكبرون. وكم تابعوا من قبل كل ذي عوج مأفون، وما كان إلا فتنة لهم تعشقوها هاوين، فهوانهم اليوم جزاء اعوجاجهم في عملهم كانوا به على الله يمترون.

يومئذ خشعت الأصوات للرحمن، وقد سمعوا الداعي الذي كانوا ينكرون، فرجفت القلوب، وأسكتت الحناجر، وهمست الشفاه، وهم ينظرون، فهم بعد جئير يهمسون، وبالإشارة يتخاصمون، يدخلون البيت للرؤوس مطأطئين، ركعا سجدا وزاحفين، حِطة للنفوس ليكونوا من المغفورين، قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا إنا كنا ظالمين. أما الذين آمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم، في السكينة مغمورين، يومئذ كانوا السابقين المقربين.

يومئذ لا بيع ولا خلال على ما كان بينهم له يملكون، ولكنهم كانوا له يظاهرون وعليه يستعلون، وله ينكرون، فماء الحياة ميسرا لا يردون، وأيديهم ليد الله ممدودة لا يمدون، (وا عجبي من أناس إلى الجنة بالسلاسل يجرون)[٥]، (ما أُرسلت سفاكا للدماء)[٦] أيها الغافلون الجاهلون. (فمن قتلته كانت عليَّ ديته، وأنا ديته)[٧] لو تعلمون (أُمة مذنبة ورب غفور)[٨]، فما كنت إلا رحمة للعالمين. صليت بالأحياء كما صليت بالمنحورين.

هذا أمر قائم في كل وقت وحين، ما ظهر الداعي الأمين عليه يجتمعون وعنه يفترقون، وإليه في مواصلة الحياة يرجعون، إذا لم يرتابوا فيما هم به معه يؤمنون، يوم هم منه من قلبه في قلوبهم ينادون، فإليه يحجون وقبلة صلاتهم يستقبلون. (أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقا)[٩] لو يؤمنون، (يخلق الله له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامة، [أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة])[١٠] في نفوسكم فتشهدون، (إذا كانت القيامة انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسبي وحسبي وسببي وصهري)[١١]، يوم أنتم بالحق تبعثون.

إن هذا اليوم لعلم الساعة به يقومون، ترهص له أحداث الزمان عند من ينظرون، وعند من يسمعون، وعند من بأفئدتهم يفكرون وهم للسيئة لا يستعجلون، ولكنهم للحسنة يطلبون وإليها يتقدمون، ولها يعملون ويتعجلون، فلها في أنفسهم يكسبون ويربحون، إنهم عن السعي إلى أيدي الله ممتدة بوسطاء الأرواح المرشدة لا يحجمون، ولا يتقاعسون، وعلى أنفسهم يبايعون، ففي الدنيا غرباء يقومون، ويعدونهم من الموتى مؤمنين، فمع الموتى يتلاقون، يوم يقوم الروح، وقد قام لرب العالمين، على ما أنكم في هذا العصر تشهدون، فلما يشاهد الموتى تشاهدون، ولِما علموا تعلمون. ولما علموا تعلمون، وكما جاءوا عالمكم، عالمهم تزورون، ولزيارتهم تردون، ففي فسيح الوجود تروحون وتجيئون، تصبحون وتمسون.

ها هي عوالم الكواكب تداني عالم الأرض، وقد داناها عالم الروح مجيبا لمن داناه، وقد طلب لنفسه معناه، وقد حرر الروح من مبناها، واستعان بالله، وبروح الله، وبرسول الله لا يتعدد ولا يتحدد لمسراها، حتى تعتق رقبته من النار، فحقق الله للروح في العالمين مسعاها ونفخ في أسوارها لاقتحام عقبتها ووضع أوزارها بمبناها، فأنار لها الطريق بنوره، فتحررت النفس من مرذول صفاتها فزكى الحق لها نفسها بالروح في جديدها، فبعثت النفوس من مقابرها، لأبدها في جديد أرضها وأمرها، فعتقت الرقاب بمعناها لأناها من النار، اصطلتها النفوس لوقتها لحتمية ورودها.

فسَبح الإنسان محررا في ملكوت السماوات والأرض، دارا له من الله بالحق، قديمه لنفسه له بناها وأنشأها، فهيأ نفسه وهو الجديد له، بمعناه ومبناه، أن ينشئ لنفسه جديدا له فيها على غرار وجودها ونشأتها ومبانيها من عمله يأتيه على ما فعل لنفسه قديمه ومبديه، إنسان رحمة الله له، جعله الله أمرا وسطا، في إنسانية السرمد فيه.

بالرسول إنسانا، عَرف الإنسان الإنسان الأزلي بالربوبية والقيومية، وعرف الإنسان الأبدي، لجديده في الإنسانية الأبدية، بمشروع الحياة الأبدي بالخلقية، فطلب الله هو في معيته بالحقية، لقائمه يتكاثر في هياكل الخلقية، لأطواره للكينونة الكونية. تسبح فيه الإنسانية، بآحاد لها، قيام الأبدية، وظاهر الأزلية.

ذلك ما جاء به رسول الله بدين الفطرة لهذه البرية، وطلب إلى قومه، وأهله، أن يقبلوا من الله به هذه العطية، فقبلها قليل من الناس، كانت لهم هدية، وقليل منهم الشكور على أرض البلية، فظهر لهم فيهم، بربه لمعانيهم، وأظهرهم به، لجمعهم لربه، هو لهم الحق الغفور. وقام برسالته منكرا على إرادته وعلى نعمته، إلى إرادة الأعلى ومنته، فقال لهم (الله يعطي وأنا أقسم)[١٢]، (أُمة مذنبة ورب غفور)[١٣].

أنا رحمة مهداة، لمن قبل الهدية، وأنا نعمة مزجاة، لمن عقل الحقيقة الإلهية، فقدَّر نفسه فيه بالعبودية، وقدر قيومه لقائمه بالألوهية، ولاقاه ولقيه فيه بالربوبية، ذكرا محدثا لذكر قديم يوم يقدر الله حق قدره، ويكبِر الذكر لله في الله، بنعمة قيام الذكر به، عَلَما على المذكور عنده، والمذكور به، أمرا وسطا، بين قديم أزلي لمعناه، لقادم أبدي لعين معناه.

هذه عقيدة من ينشد أن يكون إنسانا وعبدا لله في الله، فناء عنه إلى بقاء لإنسان وعبد في الله، يوم يقوم معه بهدايته ورحمته ظلا له، رجل سَلم لرجل، في فردوس مرشده بأحده في الله، عرفه حقا ورسولا يدعو إلى الأعلى للانهائي على ما سوف يعرف الناس يوم يدعى كل أناس بإمامهم، ويكفر الكافرون بشركه.

من دخل في إنسان الله رآه ذاتا منه، ورآه إلى أرض الخلافة هو أدنى منه، كما رآه روحا منه، ورآه في سماء الحقيقة هو أعلى منه، ورآه مع من كان في معناه رفاقا وأعلى يتواصى بالحق وبالصبر، ليعرف بمرآته بهم عن معناه، على ما علمه إنسان الله ورآه في كل ما يعلمه مما عرف وشهد عن معناه ما زال في افتقار لأن يتواصى بالحق، ويتواصى بالصبر في متابعة قدوته، من قام بالحق رسولا، في قائم ودائم أخوته لأُمته، يجمع بالحق على قديم حضرته لعَلمه، ويبشر بالرحمة والمعرفة، لقادم حضرته لمعلومه، مبشرا بتطور خلقه، بجمعه. فالناس في إنسان الله في أنفسهم ينظرون، وعن أنفسهم يعلَّمون.

هذا هو الإسلام، يوم يعرف الناس الإسلام.. وهذا هو فقه الإسلام، يوم يفقه الناس في الإسلام، فيعنيهم من أمرهم أمر حاضرهم، محصلة قديمهم قدم وحدة أقانيمهم لأحدهم، استوى على عرشه لجماع هيا كلهم.

وهم في أمرهم بما لهم، بعملهم، بداية قادمهم، هم رأس وحدة أقانيمهم لأحدهم لقادمهم قدما لهم. لا يستعلون على لانهائي الله في قائمهم، ولا يحيطون بالله في قديمهم، ولا يتعادلون معه في قادمهم.

هم إليه في دوام الفقراء، وبه الأغنياء في افتقارهم. هم عباد مكرمون، بل هم الآلهة بمعاني وجهه لوجودهم به، ولكن ليسوا آلهة مع لانهائي إنسان الله لهم، بل العباد، هم الأرباب بخدمتهم للناس

من خَلقه ومن عملهم، ولكنهم ليسوا أربابا على إنسان الله للانهائيه يوم يتحقق الناس بهم، بل هم العباد لربهم نخورين بعبوديتهم. عباد ولكن لله، عباد ولكن لحقهم.

عباد ولكن الملوك عبيدهم ... ولعبد عبدهم أضحى الكون خادما.[١٤]

{وعباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[١٥]، فكانوا أعلام السلام مع الله، وأعلام السلام مع قديمهم، وأعلام السلام مع قادمهم، وأعلام السلام مع بعضهم البعض، كان عليهم السلام، ومنهم السلام، ولهم مع الله السلام، هؤلاء هم المسلمون وأعلام الإسلام، هؤلاء هم الروحيون ووجوه الروح للرحمن.

لا إله إلا الله، محمد روح الله لروح الله

لا إله إلا الله، الإنسان وجه الله لوجه الله

لا إله إلا الله، الإنسان ذات الله لذات الله

عباد الله.. {اتقوا الله، وآمنوا برسوله، يؤتكم كفلين من رحمته}[١٦]، ها هي السماء تجدد رسالة الإسلام.. ها هي الروح تجدد رسالة الفطرة.. ها هو ذكر الله القديم، بالمرشدين من عوالم الروح، والمجندين من عوالم الكواكب، والقيمة من هذا العالم، يتجمعون في صعيد واحد، وفي مجال واحد، وفي حق واحد، وفي أمر واحد، ليجددوا رسالة الفطرة، متجددة في دوام، وليعدوا الناس لرسالة الإسلام متجددة بنصب لكوثر قائم، قائمة في بيان دائم، ولكنهم اليوم يجددونها على نطاق واسع، ويقومونها على نطاق شامل، لم يسبق له مثيل من قبل.

وحتى هذه اللحظة، لم تحن بعد ساعة الصفر، ولكنها إذا حانت، فستُبهِت الناس، وسيعلم الناس، وسيخضع الناس، وسيخشع الناس، وسيندم الناس، ولكن لات ساعة مندم.

إذا جاءت ساعة الصفر، وإنها لآتية، فلا بيع ولا خلال، ولكنها يد الله، يد قدرته، هي يد بطشته بالنكدين، ولكنها برسول الله يصحبها، هي يد رحمته للمؤمنين. (يخلق الله له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامةِ [أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة])[١٧].

إن رسول الله، وقد بُعث بالحق رحمة للعالمين، لن يتخلى عن الناس، وهو فيهم، وهو قائمهم، وهو مزيجهم، وهو ضميرهم، وهو حقهم، وهو نور قلوبهم، وهو مصباح مشكاة صدورهم، وهو الحق من الله لهم، زويت له الأرض، وجعلت له مسجدا وطهورا، فلم يدِن أحدا، ولم يسيء الظن بربه أبدا في

إساءة الظن بخلقه، طلب لهم المغفرة، وطلب لهم الرحمة، وتجاوز بشفاعته كل حد، ووقف برحمته أمام عدله منيع سد.

{استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم}[١٨]، (الحمدلله الذي حددها بسبعين، حتى يبقى بسبعين، حتى يبقى باب الاستغفار لهم وعنهم مفتوحا، وباب المغفرة لهم غير مغلق، فسأزيد.)[١٩]

{ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما}[٢٠]، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}[٢١]، فأين هو الرسول بين المؤمنين برسالته، حتى لا يتعطل إعمال هذه النصوص في قائم الفطرة؟ {إن الدين لواقع}[٢٢].

إن رسول الله لم يفارق الأرض بعد، فهو حي في قبره في انتظار انشقاق الأرض عنه، ليوم الفصل في أمر رسالته بأول ذواته إليهم أُمة بها وكوثرا لهم، فهو لم يستخلف له عليها خليفة بعد، وكيف يفعل ولم يؤمن الناس به أمرا لأمرهم في الله بعد؟ وأنَّى له أن يفعل، وهو لم يبين رسالته بعد، ولم يتممها للناس بعد؟ {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم}[٢٣]، {لتقرأه على الناس على مكث}[٢٤]، ولكن الناس لم يستمعوا له كلما قام على رأس القرون في دورته المئوية انتظارا لدورته الألفية.

إن الناس لم ينتفعوا بالقرآن بعد! ولم يهتدوا بهذا الكتاب بعد! لأنهم هدموا شق الرسالة، يوم تركوا عترة الرسول، وقد هداهم أن يتمسكوا بالكتاب والعترة، لأنهما لا يفترقان أبدا، فماذا كان منهم؟ قالوا.. يكفينا كتاب الله!! وكتاب الله لم تمسه قلوبهم أو يمس قلوبهم بعد، ولم يشرق به نور الله بين جوانحهم بمجانبتهم أهله، فهو نور لا يمسه إلا المطهرون، (من أوَّل القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)[٢٥]، (فقهاء أمتي في الدرك الأسفل من النار)[٢٦]، (إذا خالط الفقهاء الأمراء فاحذروهم فإنهم قد تذأبوا) [٢٧]، (يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير[٢٨]، ويتبعون كل شيطان مريد[٢٩]). {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون}[٣٠].

إن القرآن نور الله يمس القلوب، وهو الذي يشرح نفسه بنفسه، ويؤول كلماته بكلماته، ويبين حقائقه بحقائق الوجود، تسفر نورا بنوره، وتشرق فجرا للقلوب بإشراقه، في صحبة أهله من عترة الرسول لقائم ودائم رسالته وبيانه.

لا يؤول برأي، ولكنه يؤول ويفسر بفيض من الله، بفيض من رسول الله، بفيض يفاض على ظلال رسول الله، على متابعي رسول الله، يدعون إلى الله على بصيرة كما دعا هو على بصيرة، يجتمعون على ربهم عبادا كما اجتمع، ويرونه عيانا كما رأى، ويتحدثون عنه بيانا كما تحدث، ولا يحجبه عنهم حجاب

من خلق بظلام، أو فيض من نور بأعلام، كما هو عليه لم يحتجب، (إن لله رجالا ليسوا بالأنبياء ولا بالشهداء، يغبطهم النبيون والشهداء على مكانتهم من الله يوم القيامة)[٣١].

إنهم عباد الرحمن، الرسول لهم أول العابدين، هم فوق النبوة والأنبياء. إنهم العباد، إنهم الحقائق، إنهم كلمات الله تمت، وتتم لجديد تمام للأمة الوسط، بين أزلي الحق بالإنسان، وأبدي الحق للإنسان.

هكذا يجب أن يكون إدراكنا لهذا الدين، وإدراكنا لهذه الملة، وإدراكنا لهذا الكتاب وعترة رسوله، وإدراكنا لأنفسنا في هذا المجال، وفي هذا الحقل، من يرد حرث الآخرة، نبارك له في حرثه، نزد له في حرثه، ومن يرد حرث الدنيا، نؤته منها، وما له في الآخرة من نصيب.

هذا هو الدين ننشده.. وهذا هو الله نعبده.. وهذا هو الرسول نقتديه.. وهذا هو الحق نشهده ونفتديه.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وقوم أحوالنا، واجمع قلوبنا، وزكي نفوسنا، وأنر عقولنا، وكن لنا في الصغير والكبير من شأننا، والقنا به على ما تحب وترضى، ممن أحببت ورضيت، ممن عرفوا الله على ما هو، فقدروا الله حق قدره، وأدركوا أنفسهم على ما هي، فلم تفتنهم عنه، ولم تطغهم به.

لا إله إلا أنت، سبحانك، إنا كنا من الظالمين، غفرانك ربنا وإليك المصير.

أضواء على الطريق

من مقدمة السيد ا. و. أوستن لكتاب (تعاليم أخرى من سلفربرش).

(هذه التعاليم جزء من رسالة بدأت في العالم الروحي منذ عدة سنوات خلت، لتبعث الحقائق الأساسية التي بنيت عليها كل الأديان ولتظهرها ثانية للعالم في بساطتها الأولى. إن غاية الأرواح المرشدة التي تظهر في الدوائر في جميع أنحاء المعمورة خلال وسطاء من جميع الشعوب هي تعليم الإنسان الحقائق الروحية، وتسليحه بالمعرفة التي تمكنه من أن يحيا حياة الخدمة، وتُهيئ له الدخول في عالم جديد من الأخوة الإنسانية.

هو يعرف لنا باسم (سلفربرش) ولكن هذا ليس اسمه الحقيقي لأنه صرح بأن الأسماء لا يقام لها وزن في العالم الذي يعيش فيه. ولقد وعَد أنه في يوم ما سوف يكشف عمن يكون.. وإلى أن يحين ذلك، فأنا قانع أن أحكم عليه من كلماته، وبأن أصدق الرسالة ولو أني أجهل الشخصية الحقيقية للرسول.

وفي أثناء السنوات التسع التي سجل فيها هذا النطق يصر على قوله أنه مبعوث من هؤلاء الذين أرسلوه، ويرفض دائما إعزاء أي فضل له في الدور الذي بلغه في نقل هذه التعاليم، ولقد تعلمت منه كيف أحترمه كمخلوق روحي عالي صاحب نبل في الأخلاق وبساطة في النظرة وبلاغة في التعبير. إنه لا يدين أبدًا إذ أنه يفيض بالفهم والعطف والإحسان. ويصوب غالبا سهام النقد إلى المعاهد لا إلى الأفراد. وإلى المنطق دائما احتكامه، الدافع لأي عمل هو اختباره، والخدمة لا سواها هي رغبة.

ويصر على أن الرسالة التي جاء بها المُعلم فيما مضى قد حجبها الناس لعبادتهم للرسول. ويخشى أنه إذا بدأنا بشكره ربما ننتهي بتأليهه. وعلى هذا ندحض كل رسالته التي جاءت لتؤكد الاقتراب المباشر لكل إنسان من الله. فهو يرجع كل الفضل للروح الأعظم. ويقول بأنه خادم لا يحتاج إلى تشكرات. وهو ينكر الحاجة إلى شفعاء اللهم إلا بروابط الخدمة والمحبة).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الفتح - ١٠

٢ من الحديث الشريف: "إنما أنا رحمة مهداة." أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.

٣ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.

٤ سورة الزمر - ٣٠

٥ حديث شريف: "عجِب اللَّه من قوم يدخلون الجنة في السلاسل." صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عجبتُ لأقوامٍ يُقادونَ إلى الجنةِ في السلاسلِ وهم كارهونَ." أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.

٦ حديث شريف ذات صلة:" "زوال الدنيا جميعا أهون على الله من دم يسفك بغير حق". أخرجه البيهقي. والحديث:" "أيّما رجل أمن رجلا على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء وإن كان المقتول كافرًا". أخرجه ابن ماجه وابن حبان.

٧ حديث قدسي يرد في الأدب الصوفي: "من طلبني وجدني، ومن وجدني عشقني، ومن عشقني عشقته، ومن عشقته قتلته، ومن قتلته فعلي ديته، وأنا ديته"، لكن لا تعترف به كتب الأحاديث، لكن المعنى يمكن فهمه من السياق.

٨ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرَأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك.

٩ حديث شريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.

١٠ من حديث شريف طويل: "إنَّ اللَّهَ يتجلَّى لَهم يومَ القيامةِ ثمَّ يأتيهم في صورةٍ غيرِ الصُّورةِ الَّتي رأوْهُ فيها أوَّلَ مرَّةٍ فيقولُ أنا ربُّكم فيقولونَ نعوذُ باللَّهِ منكَ هذا مَكانُنا حتَّى يأتينا ربُّنا فإذا جاءَ ربُّنا عرفناه. ثمَّ يأتيهم في الصُّورةِ الَّتي رأوْهُ فيها في أوَّلِ مرَّةٍ فيقولُ أنا ربُّكم فيقولونَ أنتَ ربُّنا." صحيح البخاري. وعبارة "أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة" هي للسيد رافع.

١١ حديث شريف: "كلَّ نسَبٍ وصِهرٍ ينقطع يومَ القيامةِ إلا نسَبي وصِهْري". رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده، كما جاء أيضا بلفظ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي." أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)).

١٢ حديث شريف: "أنا أبو القاسم، الله يعطي، وأنا أقسم". أخرجه البخاري.

١٣ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةً أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة، وضعيف الجامع.

١٤ من قصيدة طويلة للإمام الهمام سيدي مصطفى البكري: عَبِيدٌ وَلَكِنَّ المُلُوكَ عَبِيدُهُمْ وَعَبْدُهُمُ أَضْحَى لَهُ الْكَوْنُ خَادِمَا

١٥ سورة الفرقان - ٦٣

١٦ سورة الحديد - ٢٨

١٧ من حديث شريف طويل: "إنَّ اللَّهَ يتجلَّى لَهم يومَ القيامةِ ثمَّ يأتيهم في صورةٍ غيرِ الصُّورةِ الَّتي رأوْهُ فيها أوَّلَ مرَّةٍ فيقولُ أنا ربُّكم فيقولونَ نعوذُ باللَّهِ منكَ هذا مَكانُنا حتَّى يأتينا ربُّنا فإذا جاءَ ربُّنا عرفناه. ثمَّ يأتيهم في الصُّورةِ الَّتي رأوْهُ فيها في أوَّلِ مرَّةٍ فيقولُ أنا ربُّكم فيقولونَ أنتَ ربُّنا." صحيح البخاري. وعبارة "أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة" هي للسيد رافع.

١٨ سورة التوبة - ٨٠

١٩ استلهاما من حديث شريف حين نزلت الآية {إِن تَستَغفِر لَهُم سَبعينَ مَرَّةً فَلَن يَغفِرَ اللَّهُ لَهُم}، "قال النبي صلى الله عليه وسلّم: قد خيّرني ربي فوالله لأزيدن على السبعين." أخرجه الطبري وآخرون بصيغ قريبة من نفس المعنى.

٢٠ سورة النساء - ٦٤

٢١ سورة الأنفال - ٣٣

٢٢ سورة الذاريات - ٦

٢٣ سورة النحل - ٦٤

٢٤ سورة الاسراء- ١٠٦

٢٥ من الحديث الشريف: "اتَّقوا الحديثَ عنِّي إلَّا ما علِمتُمْ فمَن كذبَ عليَّ مُتعمِّدًا فليتَبوَّأْ مَقعدَهُ مِن النَّارِ، ومَن قال في القرآنِ برأيِهِ، فليتَبوَّأْ مَقعدَهُ مِن النَّارِ." سنن الترمذي.

٢٦ استلهاما من الحديث الشريف: "مرْتُ ليلةَ أَسرِيَ بي بأقوامٍ تُقرضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ من نارٍ، قُلْتُ: من هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: خُطَباءُ أمتِكَ الذينَ يقولونَ ما لا يفعلونَ ويقرؤونَ كتابَ اللهِ ولا يعملونَ بِه." أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلي.

٢٧ استلهاما من حديث أخرجه الديلمي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء، لأن العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا في الدنيا، والأمراء إذا خالطوا العلماء رغبوا في الآخرة." أيضا، أخرج الديلمي الحديث الشريف: "عن الحسن، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم (لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه، ما لم يماري قراؤها أمراءها."

٢٨ استلهاما من {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير} سورة الحج - ٨

٢٩ استلهاما من {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ويتبع كل شيطان مريد} سورة الحج - ٣

٣٠ سورة البقرة - ٤٤

٣١ من حديث شريف: "إنَّ مِن عبادِ اللهِ لَأُناسًا ما هم بأنبياءَ ولا شُهداءَ، يغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ بمكانِهم مِن اللهِ تعالى، قالوا: يا رسولَ اللهِ، تُخبِرُنا مَن هم؟ قال: هم قومٌ تحابُّوا بروحِ اللهِ على غيرِ أرحامٍ بَيْنَهم، ولا أموالٍ يتعاطَوْنَها، فواللهِ إنَّ وجوهَهم لَنُورٌ، وإنَّهم على نُورٍ، لا يخافونَ إذا خاف النَّاسُ، ولا يحزَنونَ إذا حزِنَ النَّاسُ، وقرأَ هذه الآيةَ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (يونس: ٦٢). صحيح أبي داود.